

مستقبل الصين

الخلاصة

بقي علينا لأخذ صورة تامة عن بلاد الصين أمرٌ عظيم هو عمدة هذه المملكة ومزيتها ومعولّ الذاهبين الى ثبات مستقبلها ومثانة منقلبها الآ وهو كثرة عديد اهلها وزخور ليج النفوس البشرية في ارجائها حتى انهم ليبلغون ثلث هذه الصخرة الآدمية ويمثلون الواحدة من ثلاث فصائل الانسانية . ولم يعهد ان شعباً بلغ هذا المبلغ من الخصى وهو يؤول الى جلدته واحدة ويخضع اسلطان واحد . فالصين ثمانى عشرة مملكة او اقليماً اذا اخذت اليها مندشوريا الجنوبية صارت تسعة عشر اقليماً كل اقليم منها ينقسم الى ولايات واسم الولاية عندهم فو وينقسم الفوالى مقاطعات اسم الواحدة منها تشيو وينقسم التشيو الى كوكو واسم الكورة منها هيان وقد نسي بهذه الاسماء الامصار والمدن التي هي مراكز الولايات والعمالات . وان القرى التي تتألف منها الكورة تسمى باو ويقال لها ايضاً تو والكورة او هيان تتألف من ٧٠ الى ٧٠ قرية ويوجد منها ما هو متعلق بمراكز الولايات رأساً فيسمى تشيلي تشيو ومنها ما هو تحت الادارة العسكرية ويقال له تين وان كانت مراجسته لمراكز الولايات رأساً قيل تشيلي تين . ولا نرى لزوماً لوضع جدول احصاء الاقاليم كل على حدة مما يستغرق محلاً واسعاً وليس هو المقصود بالذات وانما نقول ان الاحصاء الذي جرى سنة ١٨٤٢ اسفر عن اربعائة مليون واربعة ملايين واربعة وعشرين الفاً وستائة واربع عشرة نسمة . ولا شيء يشبه الرمل والنخل مثل هذا . وعدلت مساحة هذه البلاد باربعة ملايين واربعة وعشرين الفاً وستائة وتسعين كيلومتراً مربعاً فاصاب الكيلومتر الواحد مائة نسمة من السكان وهو يساوي يبلغ في العمارة . ويوجد في الصين نحو ١٩٠ مدينة من الامصار المحصنة والقواعد والحوادث والمدن والكبار عدا القصبات والمدن الصغار . وغير خاف انه مضى على هذا الاحصاء نحو ستين سنة وتيفر فلا بد ان تكون النفوس زادت في هذه البرهة زيادة عظيمة ولولا استئصال الفتن المتتابعة بعض ولايات الصين وانهم في شرب الدماء يشتمون وفي التقبل لا يقرن ولا يذرون لاربي عدد اهل الصين على الخمسمائة بل الستائة مليون ولما كانت بهم اسية بما رحبت وتخرجت الارض بابناء السماء

وحيث قد بسطنا من احوال هذه المملكة ما نظنه كافياً لمعرفة سرورها ووطانها من امورها ما فيه مقنع لتشخيص حالتها واستشفاف ما انطوت عليه جوانبها على تنكب منا لطريق الاطباب

خوف تبرم القراء أن لنا ان نتكلم شيئاً عما ترجمه من مستقبل الصين الذي هو عنوان مقامنا ومدار خطابنا واذا كان مستقبل الصين وكل مستقبل في الارض منوطاً الآن بالعلاقة الاوربية مربوطاً بالحضارة الغربية لزم ان نوطئ شيئاً عن علاقة الصينيين بالغريين وعلاقة الغريين بالصينيين فنقول

سنة ١٨٧٩ لم يكن للغريين في جميع بلاد الصين سوى ٤٥١ محلاً تجارياً منها ٢٢٩ محلاً للانكليز والباقي اسائر الاوربيين وكان في جميعها ٣٩٨٥ شخصاً اذا اضفت اليهم السياح والمبشرين بلغ عدد جميع الافرنج في الصين ٥٠٠٠ نسمة . وقد ازداد هذا العدد زيادة عظيمة منذ ذلك العهد ولكنه لا يزال قليلاً بالنسبة الى اعداد الصينيين الماثلة ولا يزال كالشعرة البيضاء في الثور الاسود . وانما كان تأثير هذا العدد القليل عظيماً في احوال الصين وعاداتها وماخذها ومناحيها وكان له فعل على تجارتها وصناعتها ولقمتها وحسبك انه تشعب في الواحل لغة من اللغة الانكليزية فوسعها التجار الصينيون فخلطوها بشيء من لغتهم فصارت مزيجاً من اللتين وساعدتهم على التعبير عن كثير من الافكار الجديدة والمعاني المحدثه والاغرب من هذا ان اساس هذه الرطانة برتغالي لا انكليزي فصارت هذه اللغة الجديدة مترشحة عن لغات ثلاث

هذا من امر اللغة واما من امر الاخلاق والعادات فكان الصينيون في البداية لا يخرجون من بلادهم ولا يخاطرون غرباً ولا يعرفون الغربية والسلطان يحظر عليهم ذلك وما زالوا على هذه الحال حتى وظئت ديارهم اقدام الافرنجة فمؤدوم السفروجرأوم على الاعتراب فانسلت منهم جماعات خفية ثم تابعوا حتى بلغ عدد المهاجرين منهم الى الآن ثلاثة ملايين في بلاد الغريين واما البلاد الغربية من الصين والاصقاع الشرقية ففيها اضافة هذا العدد من الجالية الصينية لأن الذين خرجوا الى ما وراء السور مثل منغوليا وندشوريا وكانسو الخارجية يناهزون الثلاثة عشر مليوناً عدا الجالين الى جزر البحر المحيط والممالك الهندية الصينية وهم لا ينظرون الى هذه البلدان بالمين التي ينظرون بها الى بلاد المسيحين فانهم يدفنون في تلك موتاهم ويستحبون اليها نساءهم وليس امرهم كذلك في شيلى وبيرو وكاليفورنيا فانهم يرسلون منها جثث موتاهم الى بلادهم الاصلية تطوى المسافات الطوال لئلا تدفن خارجاً عن بطن امهم الارض الصينية وكذلك لا يزال السفر الى الخارج محظوراً على النساء فكثيرون من الصينيين اذا عزموا على الرحيل وتركوا من خلفهم ذرية ضعافاً باعوم يبعثونهم يهلكوا جوعاً فأثروا بيع نساءهم واولادهم على غريهم الى الخارج . والتزوج مع الاجانب ممنوع عندهم فلا

كفره للصينية عندهم غير الصيني ومن خالف ذلك فقد باه بغضب من السماء . وكل أطوار هذه الأمة بذلك على شدة استمساكهم بأطوارهم القديمة وتورمهم من كل غريب عنهم وانهم يريدون ان يبقوا صينيين كما كانوا منذ اربعة آلاف سنة
وفي اي محل وجدوا من بلاد الغربه تساند بعضهم على بعض وانضموا كبة واحدة لانهم احبوا الناس ضلوعاً بعضهم على بعض واكثرهم غراماً بالانضمام والاجتماع ولهذا نكثر عندهم الجمعيات فكل شئ عندهم جمعية ولكل عمل عصبه وهم ينصبون عليها جميعاً الرؤساء والقباه حتى يقال ان المتسولين منهم لهم رؤساء وقباه كثيرهم . وابتنا حلوا وحيث نزلوا قطعوا ارزاق غيرهم بصبرهم العجيب وثباتهم الغريب وقناعتهم الموصوفة وكونهم قوماً يعتادون كل شئ حتى اصبحت مزاجتهم لا تطاق وتجاوزتهم احر من بخار النار ذاب الرقود . والاشهد منهم هذا الاصلاح في المسابقة ناروا بهم في اميركا يقتلونهم وتحققت الولايات المتحدة معاهدة مع الصين بمنع سفرهم الى هناك وضيقوا عليهم في الجزر التابعة هولنده من البحر المحيط وعينوا لهم اماكن مخصوصة للسكنى وحرقتا مخصوصة لا يتعدونها في الشغل

وقد كان لهذه المهاجرة وذلك الاختلاط مع الغربيين تأثير عظيم على مصير امور هذه المملكة ونفل بين في اخلاق اهلها ولولا حجر الحكومة الصينية وضغطها على لغتها واتباعها من وراء سورها لا تفصح في دخول الفنون الاوربية فيها بينها لكانوا تدرجوا تدرجاً لا يباريهم فيه احد في مراقي التمدن الاوربية لانهم قوم صنع الايدي والاوربيون قيام امرهم الصناعات ولانهم يجيدون التقليد ويمسنون المباراة ولا يرون شيئاً الا ذلكم ايديهم وكثيرون منهم اصبحوا يقدرون الحضارة الاوربية قدرها ويعلمون ان علومهم القديمة قد اُسخت آيتها وانها صارت لا تفي بقرضهم ولا تنجي من وراء حاجتهم وان الاوربيين سادوا وشادوا وادركوا ما ارادوا بدون ان يتم لهم وقوف على كليات كنفوشيوس الخمس فابتدوا بتدريس علومهم الاوربية وترجمت الوف من كتب هؤلاء الى اللسان الصيني على ما في الترجمة الى الصيني من الصعوبة وسارت لهم جرائد وانتشرت مجلات واقبلت عليها القراء اقبال العطاش على مورد عذب

وعليه فان كان العلم هو الملك حقاً وكانت اوربا لم تطل على هدم الغايات المتطاولات من الحول والقوة والانبساط والاستعلاء الا بعزائم العلم وكرامات الفن فلا شك ان الصينيين يحرزون هذا العلم يوماً من الايام ويحمون بوزمائرهم لانهم مهما دافعوا قياره عنهم فلن يستطيعوا دفعه بعد ان خيم الافرنج بدراهم ولان الحاجة لتفقي عليهم بان يولوا وجوههم شطر

الغرب للاستدارة بعلومه والتشرف بها ضد من يروم استباحة حمام والناس اشبه بزمانهم منهم بأبائهم . والصينيون قوم يحترمون العلم ويحفظونه ويرحبونه فوق كل شيء حتى ان اسم العلم عندهم الذي هو كياو يعني به الدين ايضاً فكأنهم جعلوا العلم والدين عندهم في ميزان واحد والتعلم فريضة على جميع الذكور لا مندوحة عنها وفي كل قرية مكتب ينفق عليه من المجلس البلدي . وللعلم والعملاء والكتابة حتى الكاغد عندهم شأن يتورعون فيه ولا ورع العبادة . وان قيل ان الصينيين بتعصيتهم لعلومهم البالية وبفضهم للاجانب يتخرجون من اخذ شيء عنهم كما يفهم من نفس مقالك هذا قلت ان الزمان الذي من غالبه غلب سوف يقودهم الى طاعة العلم الصحيح ويجدع مارن كبريائهم وانه مع ذلك مخطيء من يظن كون التغيير عند الصين مخالفاً لمذهب كنفوشيوس فقد حصلت في الصين انقلابات كثيرة ولم يكن فيها شيء من سرداً وقد وود في اقوال ذلك الفيلسوف الاكبر عندهم "ان شئت ان تصلح نفسك فجددها كل يوم" ولئن كان التجديد بطيئاً الى الآن فالعلة فيه كبر الصينيين وشموخهم بانوفهم عن الاقرار بضعفهم وتوهمهم بانهم اعلى الامم كهوياً في الحضارة وانهم الامة الوحيدة في الارض وبديهي انه يصعب عليهم الانتقال من هذا الزعم الى كونهم دون الاوربيين بمنازل دفعة واحدة وانه لا بد لذلك من التدرج والطفرة محال كما لا يخفى

فم ان الصينيين لا يتقدمون في هذا الامر تقدم اليابانيين لانه ليس عندهم اقدام اليابانيين ولا حماسهم وانما يقابل ذلك منهم الصبر والثبات وهو عامل لا يقل عن الاول نفوذاً في تقدم الامم

بقي علينا ان نتساءل هل تبقى الصين لاهلها ام يغير عليها الاوربيون من كل جهة فيقتاسمونها فيما بينهم وهو المراد بمستقبل الصين والموضوع بحث لافاضل الكتاب واهل النظر يقتدحون فيه زناد الافكار وكل يؤيد مذهباً وبعض رأياً فذهب بعضهم الى ان مصير الصين كصير غيرها من غير الاوربيين وهو السقوط في ايدي ابناء الغرب ان لم يكن عاجلاً فاجلاً وذلك لما ظهر من وهن قوتها الحربية وانها مملكة لينة المعاطف سهلة فلا يحشى بأسها ولا يتعب مرامها وانه ان كان الخلاف الدولي حائلاً الى الآن دون تشطراضرعها فلا بد ان الضرورة تقضي بقسمة مناسبة يخرج منها كل فريق بسهم يرضيه فالروسية تطمح الى منشوريا وقد شرعت في ان تاخذها وانكلترا وفرنسا واليابان والمانيا كل دولة منها ترفض بولايقر كبيرة لا تتعداها الى اختها وهم جراً وذهب آخرون الى ان مستقبل الصين انما هو لليابان لانها دولة شرقية كدولة الصين والضرورة تحكم على الصينيين بموادة اليابان لاجباهم بل بغضا

بالأوربيين وأنه قديمي . زمن نمتق فيه هاتان الامتان ونقومان بتدا واحدة على الغريب . وكل من الافتراض الاول والثاني ترد عليه الاعتراضات الكثيرة لأن أوروبا لا يسلم بعضها البعض بالاستيلاء على الصين وان التجزئة التي يحلم بها بعضهم غير متيسرة بل هي باب الحرب من ثاني يوم وإذا كان الأوروبيون لا يسمحون فيما بينهم بركة الصين فكيف يسمحون لليابان وهي شرقية وهم لا يطيقون رجوع البلاد للشرق . وقال آخرون ان مستقبل الصين انما هو للاسلام بما وجدوا من الفرق بين الصيني المسلم والصيني الوثني وان الاول يفضل الثاني من كل وجه وروا أنه اذا اعيت عقائد الصينيين عن النهوض باهلها فانهم يفضلون الاسلام على غيره من الاديان لانهم يكرهون الاوربي وديانته كراهة دلت عليها الحوادث الاخيرة والاسلام دين قسم منهم فالارحج انهم يميلون اليه وهو يزاد بين ظهرانهم بسطة وظهرت في كثير من سياح الافرنجة من عاقبة تقدم الاسلام هناك كما قدمنا في جزء ماض من المقتطف . والذي نراه انه ان كان المقصود بالمستقبل هو المستقبل الديني فربما كان للاسلام الرجحان على غيره في تلك البلاد ولا شك انه يمشي في قلب الصين كما يمشي في قلب افريقية وان أوروبا لا تنظر بعين الرجحان الى هذا التقدم ولو اخنى ذلك رجال السياسة في صدورهم وان المسلمين يتعمرون على تاجز دنياهم في هذا القرن بتقدم دينهم . ولكن لو كانت هذه العدد كافية بدون التمدن لاغنت الصينيين انفسهم وهم اكثر من اهل الاسلام عدداً وكيف نرجوان يستأثر الاسلام بملك الصين على مرأى من دول الغرب وهو يعجز عن حفظ ملكه القديم واذا احسن اهل الغرب منه نياة للنهوض في ارضه اخذوا بخناقيه فما ظنك لو تحرك في لرض غيره لا جرم ان دول أوروبا باقتال قتال المستميت دون ان ترى مملكة الصين في ايدي المسلمين خشية ان تجتمع يوماً بين التمدن الاوربي والدين الاسلامي فتكون الضرورة القاضية على ملك الاوربيين في المشرق

ثم من الناس من يظن ان مال امر الصين انما هو الى الروسية لأن الروسية اشد جارات الصين بأساً واحسن من مستقبلاً وهي ثناخها مسافة ثمانية آلاف كيلومتر وقد تجنبت من جوانبها ما لم تقينه دولة سواها وصيرت منشوريا تحت طائلة نفوذها وزار اسدها في سواحل كوريا ومدخل البحر الاصفر وبرزاز جزر اليابان فهي ذات الكلمة العليا في تلك الاصقاع . وهذا الرأي على كونه اقرب الى العقل مما تقدمه فلا يزال بعيداً لان سائر الدول وخصوصاً انكلترا واليابان يزاحمن الروسية بالمتاكب ويدفعنها بالراح ولأن لها من العداوات التي يجانبها في أوروبا ما يطامن من تقرب طامحها على الصين وينفع في اجلها . وذهب قوم الى ان كثرة

احكامك الاوربيين بالصينيين ليست من مصلحة اوربا في شيء لأن الاوربيين بكثرة يحكمهم بالصين يعلمونهم اطوارهم ويحلمونهم على علومهم وينهجون بهم سناجهم في الحضارة رغماً عن انوفهم فكأنما يعلمونهم السخيم ليقاتلهم بها وانه ان استمر الامر على ما هو عليه فلا يمضي زمن طويل حتى يتم للصين ما تم لليابان من هذا القبيل فلا يعود لاحد مطمع في بيضهم لانهم من الكثرة والالفاف بحيث لو تعلموا ونسقوا جيشهم على الترتيب الاوربي لكان لهم فيلق ترجف لمشيته دفناً الشرق والغرب وخيف من استئناف دور جنكيز وما ذلك على الايام بعزير ويقول بعض السياح الذين داخلوا الصين وعاشروا اهلها ورأوا ذلك الشعب التموج تموج الباسيفيك مثل ريشتون وارمان دافيد وفازيليف ان اختلاط الصينيين بالاوربيين والاميريكين لا يغير احوال الصينيين فقط بل يؤثر في هؤلاء ايضاً لأن الماء والنجس اذا امتزجا تغير لونهما معاً ومن رأي الصينيين في بلادهم وعلم انهم نجو نصف مليار من النسم على مشرب واحد ومن اصل واحد عرف ما يعترض الاوربيين من الصعوبة في استغراق هذا الجنس لا بل تأكد لديه انهم اذا ولجوا فترتك البلاد قصروا عن سدها وانهم سبها اجتمعوا حولها فلا مندوحة لهم في الاخر ان يتصدعوا عنها . ومنهم من رأى الأبلغ في نصح اوربا ابقاء الصين في وحدتها معزولة عن الناس ومعزولة عنها تأمينا لمستقبل اوربا وكفناً للشرق عن الغرب وهؤلاء هم الذاهبون الى ان الصين المتعلمة تندفق على سائر البلاد فلا يقف احد في وجهها

والبعض يهني³ اوربا بعكوف الصينيين على الافيون الذي ينجبل العقل ويذهب الفكر وفاسيليف يبالغ فيقول لولا الافيون لغزت الصين العالم بأسره وخنقت اوربا واميركا بانساطها عليهما وكثيرون من الافرنج يرددون ذكر "الخطر الاصفر" يعنون به الخوف من غوائل الصين المستقبلية اذا اخذت مبادئ التمدن الغربي وانها تصلي اوربا حرباً اقتصادية لا يكفها بها احد

وعندي ان الصين وان كانت لقيمة لا تسوخ بسهولة في مزدرد اوربا لكثرة عدد اهلها ووحدة جنسهم وامتلاء بلادهم فانها نعمة شائلة ودولة زائلة الا اذا حدث حذو اليابان واقتدت مثلها باوربا فان اليابان لم تأمن على استقبالها ولم تدخل في صف الدول العظام ولم تحس بقوة تناهض بها روسية في الشرق الاقصى ولم يصر الواحد من اهلها كنفء العشرة والخمسة عشر من اهل الصين الأبصولة التمدن الغربي وفضل العلوم الحديثة فالصين تدرى⁴ من وراء كثرتها ووحدة جنسها وبعد مزارها ما شاءت ان تدرى⁵ ولكن لا بد ان تجلي غيابة

السحر في الآخر ويرجع السيف في رقاب الصينيين ان لم يذهبوا من غفائهم ويذهبوا من صخبهم
فانه لا يكثر كثير مع الجهل ولا يقل قليل مع العلم ومستقبل الصين موقوف على تعلمها والله
وحده علام الغيوب
شكيب ارسلان

الحول وعلاجه

علمت بالمراقبة ان الحول نادر في اهل اوروبا فقد يقم الغريب المراقب بينهم حولاً ولا يرى الحول . والسبب في ذلك ليس اختلاف الاقليم فالحول ليس من اهل العين التي يحدثها اشتداد الحر وتضاعد العثير وعدم الاعتناء بنظافة الاجسام التي غير ذلك فخرج لملاحظات المتوفرة في المناطق الحارة وانما الحول مرض ينشأ عن ضعف خفي في النظر كما سذك ذلك وليس للاقليم الحار شأن في حدوثه . ولكن السبب في قلة الحول في الغرب وكثرتهم في الشرق هو ان الصبي الغربي الاحول يذهب به ذويه الى اطباء العين فتستعمل له الطرق لتقوم نظرو المعوج واذا اعمى اهله امره لا يلبث ان يشب ويدرك حتى يهرول الى رمدي يشفيه من دائه . وذلك بخلاف ما يرى في الشرق حيث الاحول لا يهتم بامر اهله اذا كان قاصراً ومن شب وكبر ورأى حوله الحول كثيرين لا يكثر للامر بل يرضخ صاغراً راضياً بدائه مستملاً لحكم القضاء والقدر فيعيش احول ويموت احول

وكان التمس لاهل الشرق عذر في ما مضى لانه لم يكن بين ظهرانيهم العدد الكافي من اطباء العين واما الآن فما عذرهم وقد كثر الاطباء حتى لم تعد تدبغل بلاد كثير من بلاد المشرق الا وجدت فيه واحداً منهم

والغرض من مقالي هذه هو اولا ان اتكلم موجزاً عن هذا الداء وطرق علاجه ليعلم القراء انه داء يمكن احياناً كثيرة ازالته منذ الصغر باستعمال الطرق التي ساذكرها وبانه ان لم تبيح هذه الطرق يمكن تقويم العين الحولاء بعملية جراحية قلما تنجح

ثانياً لاورد لزملائي الاطباء وعلى الخصوص المنقطعين منهم لامراض العين ما قاله العلامة باناس الرمدي الشهير في خطاب القاه اخيراً في مستشفى اوتيل دى لجن تحرقته الحديثة في عملية الحول لعلهم يستصوبونها مثلي ويتبعونها واهل بذلك افيد الطبيب والمتطبيب ما هو الحول : الحول حالة مرضية لا يمكن معها اتجاه العينين الى الشيء الحول اليه النظر متى يظهر : لا يظهر هذا الداء غالباً قبل السنة الثانية من العمر غير ان بعض العالمين